اجتهادات
عالمُ هيكل الواسع

ما أن افتتح الصديق عمرو خفاجى الندوة، التى عُقدت فى معرض القاهرة للكتاب احتفاء بمئوية ولادة محمد حسنين هيكل، حتى فُتحت صناديقُ ذكريات المشاركين فيها، وأُخرج منها ما سمح به الوقتُ والظروفُ وطبيعةُ المناسبة. أنماط مختلفة من العلاقات الودية جمعت كلا من كاتب السطور والأصدقاء جميل مطر وعمرو خفاجى وعبدالله السناوى مع الراحل الكبير. ومع ذلك اتفقوا على أنه شخص استثنائى جمع قدرات قلما تجتمعُ فى فرد واحد. ليس فى الصحافةُ وحدها برزت قدراته، بل فى كل مجال طرقه من السياسة بغض النظر عن الاتفاق أو الاختلاف معه، إلى الإدارة التى مكَّنه تميُزه فيها من تحويل صحيفة كانت خاسرة ومديونة حين تولى المسئولية عنها عام 1957 إلى مؤسسةٍ صحفية وثقافية كبرى.

عالمُ هيكل واسع للغاية. لم تكن الصحافةُ إلا جزءًا منه، ومدخلا إليه. لم يضعف حضورُه العامُ القوى بعد مغادرته "الأهرام" عام 1974، بل على العكس تحرر من قيود العمل اليومى والارتباط بالسلطة، فانطلق وحلَّق وظهرت قدراتُه المتنوعة. ولأن عالمه واسع، كان عقلُه كذلك أيضًا. تعامل مع الاختلاف بوصفه سُنة من سُنن الله فى كونه، وانفتح على مختلف الاتجاهات، وعرف وصادق

أشخاصًا من ألوان الطيف كلها، وغيرها. حرص على أن تكون "الأهرام" نموذجًا للتنوع الثقافى والفكرىٍ، فعوَّض جزئيًا غياب التعدد السياسى. فعندما بدًأ فى تحويل الأهرام إلى مؤسسةٍ كبيرة، عهد إلى الراحلين بطرس غالى ولطفى الخولى، على ما بينهما من اختلاف فكرى عميق، بتأسيس أهم فصلية ومجلة شهرية فى المنطقة عام 1965. وعندما أسّس مركز الدراسات الاقتصادية والسياسية فى الوقت نفسه، اختار لرئاسته على الجريتلى ذا الاتجاه المحافظ. وعند سفره للعمل فى إندونيسيا خلفه الاشتراكى اسماعيل صبرى عبدالله. كما سعى لأن تكون "الأهرام" منبرًا لكُتاَّب ذوى خلفيات فكرية وثقافية متنوعة ومتعارضة من لويس عوض ويوسف إدريس فى اليسار إلى ثروت أباظة فى اليمين، وبينهم توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وعائشة عبدالرحمن وغيرهم.

فبمقدار ما يكونُ عالمُك واسعًا، يتسع عقلُك وصدرُك للاختلاف مهما بلغ، وللمختلفين أيًا كانت المسافاتُ بينك وبين كل منهم.